رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق شهري يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

# عراقيون

زمن التوهج

العدد (1259) الخميس (26) حزيران 2008

No. (1259) Thu. (26) June 2008

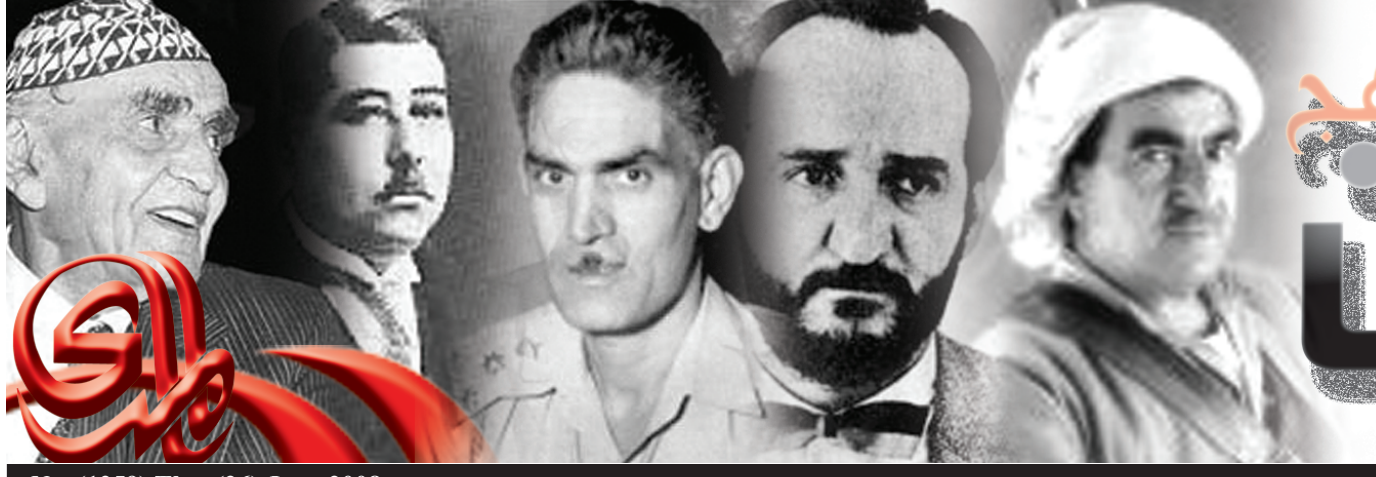

الكاريكاتير في الصحافة العراقية

# نوري ثابت( حبزبوز) وريادة الصحافة الساخرة في العراق

ضياء الحجار

برغم ان الصحافة دخلت الى العراق في العام ١٨٦٩ الذي شهد ولادة اول صحيفة عراقية. هي جريدة الزوراء التي اسسها والي بغداد مدحت باشا. ثم ولادة جريدة الموصل عام ١٨٨٥ وجريدة البصرة عام ١٨٨٩.. الا ان هذه الصحف لم تكن تنشر صورا ناهيك عن الكاريكاتير وفيما تلا ذلك. وما بين عام ١٩٠٨ واخريات عام ١٩٣٣ صدرت في العراق تسعون مجلة ومائتان وثلاث عشرة جريدة بين سياسية وادبية وفكاهية.. فكان مجموع المجلات والجرائد ثلثمئة وثلاث خلال هذه الحقبة.

ومن بين كل هذا العدد الكبير من الصحف والمجلات لم تصدر سوى جريدة كاريكاتيرية واحدة. هي جريدة حبزبوز التي صدر العدد الاول منها في ٢٩ ايلول ١٩٣١ وهو وقت متأخر لظهور الكاريكاتير في العراق قياسا بمصر مثلا التي عرفت صحافتها الكاريكاتير منذ اواخر القرن التاسع عشر.

فلماذا تأخر الكاريكاتير في الظهور على صفحات الصحف العراقية كل هذا الوقت الطويل؟

يعزو بعض المهتمين بالكتابة عن تاريخ الصحافة الهزلية والكاريكاتير في العراق اسباب هذا التأخر الى امور عديدة، ف (روفائيل بطي) يقول ان الشخصية العراقية جادة بطبيعتها بعيدة عن روح الفكاهة، خلافا (مثلا) للشخصية المصرية المطبوعة بالمرح والفكاهة، هذا في الجانب الاجتماعي... اما في الجانب الفني، فيقول، ان الكاريكاتير والكتابة الهزلية بمعناهما العصري. فنانان جديدان في تلك الفترة على العراق.. وعدم ظهورهما مبكرا يعود لعدم توفر الشروط الموضوعية لظهورهما انذاك.

اما جميل الجبوري فيعزو سبب جدية الشخصية العراقية وابتعادها عن روح الفكاهة والمرح الى كثرة ما مر بالعراق من مآس ومحن ونكبات وويلات جراء الغزو والاوبئة والامراض واخطار الفيضانات... مما طبع حياة العراقي بطابع جاد لا يخلو من سمات الحزن والالم مما انعكس على امثال الشعب واقواله واغانيه واهازيجه حتى النكتة العراقية، اتصفت بالغصة المكبوتة والسخرية المريرة.

ومع اتفاقنا التام على صحة هذا الكلام.. لكننا لا يجب ان نغفل اهمية العامل التقني وعدم توفره كسبب رئيسي في تأخر ظهور الكاريكاتير في الصحافة العراقية.

فعندما بدأ هذا الفن بالظهور والانتشار في صحافة العالم المتقدم منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر. كان العراق ولايات عثمانية لم تدخلها المطابع الا في العقود الاخيرة لذلك القرن.. وحتى هذه المطابع كانت حجرية ومتخلفة تكنولوجيا عن مثيلاتها في تركيا وسوريا ولبنان ومصر..

وحتى تطبع المطابع التي كانت موجودة في العراق انذاك صورا او عناوين ثابتة.. كان اصحاب الصحف والمطابع يستعينون بمعامل (الزنكغراف) الموجودة في اسطنبول. وبعدها تلك الموجودة في لبنان لصنع الكلائش لتلك الصور والعناوين.. اذ ان اول (زنكغراف) محلي تأسس في العراق عام ١٩٣٠، لذلك نلاحظ ان معظم الصحف العراقية قبل العام ١٩٣٠ كانت شبه خالية من الصور والرسوم.. والقليل المنشور منها كان يكلف اصحاب الصحف غاليا. لان كلائشها تصنع خارج العراق كما ذكرنا..

اذن فخول (الزنكغراف) الى العراق عام ١٩٣٠ اتاح نشر الصور في الصحف العراقية، وبالتالي وفر الفرصة لظهور الكاريكاتير.. وهذا ما حدث بالفعل.. اذ تأسست اول صحيفة كاريكاتيرية في العراق وهي جريدة حبزبوز عام ١٩٣١ اي بعد عام واحد من تأسيس اول معمل للزنكغراف في بغداد وهو معمل (زنكغراف البرق).

وقد توفر مع بداية عقد الثلاثينيات العنصر الفني المتمثل بالرسامين حيث كانت الحركة التشكيلية في العراق قد بدأت تشب متطلعة الى ما حولها للاخذ باسباب التطور والنضوج على ايدي عدد من الفنانين اهمهم عبدالجبار محمود وسعاد سليم وفائق حسن وعطا صبري. وغيرهم

وكان الكاريكاتير احد الجوانب التشكيلية التي استهوتهم، حيث شكلت اعمالهم التي نشروها في حبزبوز البدايات الاولى لهذا الفن في العراق.. ولا يفوتنا أن ننوه الى ان المرحوم نوري ثابت نفسه كان ايضا رساما كاريكاتيريا نشر اعماله في جريدته، فكان بحق يكتب ويرسم الكاريكاتير بجدارة.

اول رسم كاريكاتيري في تاريخ الصحافة العراقية كان موضوعه (الانفلات الأمني)!

تطلق صفة (الكاريكاتير الايجازي) على اغلب رسوم الكاريكاتير التي تنشرها الصحف والتي تغطي احداثا او تعلق عليها بتكثيف وايجاز.. ولوحة الكاريكاتير الكاملة مؤلفة بالضرورة من عناصر عدة هي: ,١ الخط. ,٢ الكتلة. ,٣ الفراغ. ,٤ اللون. ,٥ الحركة. ,٦ المفارقة. ,٧ المبالغة. ,٨ الموضوع. ,٩ المضمون. ,١٠ الهدف. ,١١ التعليق.

ومن خلال البحث في مجلدات الصحف العراقية القديمة والفكاهية منها بالذات تم التأكد من ان اول رسم كاريكاتير ايجازي عراقي صميم ويحتوي كامل العناصر المذكورة اعلاه. ظهر في الصحافة العراقية هو للفنان (عبدالجبار محمود) نشر على الصفحة الاولى للعدد الاول من جريدة حبزبوز التي اصدرها المرحوم نوري ثابت بتاريخ ٢٩/٩/١٩٣١، ويصور هذا الرسم الكاريكاتيري شخصا هو (نوري ثابت نفسه الملقب حبزبوز) وقد ظهر بملابس الفرسان ممتطيا (طوب ابو خزامة المشهور فلكلوريا في العراق). وقد حمل بيده قلما طويلا، كناية عن رمح الفارس وكلاهما سلاح. وقد توجه بنظراته وابتسامته الساخرة الى القراء. وفوق الكاريكاتير تعليق هو (سيارة حبزبوز الجديدة وقلمه السيال) وتحت الكاريكاتير حوار من سؤال وجواب.

السؤال موجه لحبزبوز (نوري ثابت) يقول: شنو هاي.

حبزبوز؟ اشو راكب على طوب ابو خزامة؟ تريد تصير مثل سلطان مراد؟!

ويجيب حبزبوز.

لا مولانا! لكن مادام بنص اوتيل انضرب ست رصاصات فمنا وغادي. قررت بعد ما اركب بعربانة او سيارة... بل اخذت هذا الطوب من وزارة الدفاع حتى اتجول عليه!..

هم المسألة اقتصادية لان معلوم حضرتكم هذا يلهم التراب.. يصير بارود ويلهم الحجار يصير دان (اي قنابل).. اريد رجال اللي يتجدم.

وكان المرحوم (نوري ثابت) قد تعرض قبل ان يصدر جريدته بايام قليلة وبينما كان يجلس في (اوتيل ما شاء الله) الواقع في محلة الحيدرخانة في شارع الرشيد. الى محاولة اغتيال من قبل شخص اطلق عليه الرصاص فأخطأه. ثم فر هارباً.

وواضح ان هذا الرسم يحتوي كامل عناصر الكاريكاتير من خط وكتلة وفراغ وموضوع ويعتمد المفارقات الضاحكة، كما نجد المبالغة واضحة في مفردات الرسم والتعليق وبالنتيجة، فلهذا الكاريكاتير مضمون انتقادي يغمز من قناة الجهات الامنية (انذاك) التي بلغ من ضعفها ان تركت القتلة يسرحون ويمرحون على هواهم.

مما يوجب على المواطن ان يحتاط ويتولى حماية نفسه بنفسه.

وانها لمفارقة حقا ان يبدأ الكاريكاتير في كل عدد. وفي كل الاحوال لا يمكن لنا اعتبارها كاريكاتيرا كاملا. لانها علاوة على تواضع رسمها، تفتقر الى عنصر المفارقة، وهي في احسن الاحوال، صورة توضيحية لا غير، مثلها مثل غيرها من الرسوم القليلة التي كانت ترافق عناوين بعض الصحف قبل الثلاثينيات، ويؤكد هذا قول المرحوم الاستاذ صادق الازدي، صاحب مجلة (قرندل).. (قبل صدور حبزبوز في ايلول ١٩٣١ كانت الجرائد والمجلات الاسبوعية الضاحكة لا تعرف الصور الكاريكاتيرية الا في بعض عناوينها الثابتة وتقتصر على وجه رجل او امراة. وهكذا شأن بعض الجرائد مثل (كناس الشوارع) والكرخ والكرخي.. والملا.. وجحا الرومي وغيرها الكثير).لذا نعود فنؤكد باننا نعتبر تاريخ ٢٩/٩/١٩٣١ هو يوم ولادة الكاريكاتير العراقي (وهو ايضا تاريخ صدور اول عدد من صحيفة حبزبوز) للاسباب التالية:

,١ الرسم الذي نشرته حبزبوز في هذا التاريخ على صدر صفحتها الاولى يعتبر رسما كاريكاتيريا ايجازيا كاملا بالمفهوم العصري. لانه يتضمن عناصر الرسم والموضوع والمفارقة والمبالغة ثم المضمون والهدف. والتي بمجموعها تشكل عناصر الكاريكاتير.

,٢ قام برسم هذا الكاريكاتير فنان عراقي هو (عبدالجبار محمود),٣. مفردات هذا الرسم الكاريكاتيري وفكرته عراقية خالصة. ,٤ هذا الكاريكاتير نشر على غلاف العدد الاول من صحيفة عراقية هي حبزبوز في ٢٩/٩/١٩٣١ ويحدث هذا اول مرة في تاريخ الصحافة العراقية انذاك..

ويؤكد كل ما ذهبنا اليه تولي السيد جميل الجبوري في كتابة (حبزبوز) حين يذكر (لقد كانت حبزبوز) اول جريدة عراقية وظفت الرسوم الكاريكاتيرية فيما تنشره).وقد لاقت جريدة حبزبوز نجاحا كبيرا ورواجا لم تسبقها اليه صحيفة اخرى بفضل ادخالها للكاريكاتير كمادة جديدة على الصحافة العراقية وبفضل قلم صاحبها ومحررها الساخر الفكه نوري ثابت (رحمه الله) حتى عدت جريدة الشعب الاولى بحق.

نموذج لعنوان الجريدة في اعدادها الاولى

نوري ثابت في شبابه

## لماذا تأخر ظهور الصحافة الساخرة في العراق؟

## نوري ثابت يقرر ان يظهر بملابس الفرسان على غلاف العدد الاول

مصادمات بينية بعد المساء!

الاغنياء في البيوت (هل تريدون جرائد هزلية)

كل يوم كفخة تكفخني ويج رأسي مزة، الكفخ(١)

(١) الكفخ: بضم الكاف وفتح الفاء، الجمع المجزوي لكلمة: كفخة.

نوري ثابت بريشة الفنان فيصل لعيبي

## هذا الملحق

# السيرة الحبزبوزية

المحرر

يمكن اعتبار نوري ثابت المعروف بأسمه المستعار "حبزبوز" والذي ذاع به صيته رائد الصحافة الهزلية في تاريخ الصحافة العراقية ،حيث أكتسب شغف الناس وكسب شعبية بينهم وصنع له طبقة من القراء والمريدين ، كان مرها من أسلوبه البسيط ولغته السلسة والأهم تملسه لهواجس المواطن البسيط وعرض همومه ، منتقدا لاذعا حالات اجتماعية وسياسية كثيرة. ويعزي البعض هذه الطرائق في الأدب و الصحافة الهزلية مردة طبيعة الحياة وقسوتها والمحن التي تحيق بالإنسان البسيط الذي يسعى إلى من يجبر خاطره ويواسي حاله ولاسيما بالهزل لكي ينسيه همومه .فالأدب الساخر في ذلك الحين كان يعكس طبيعة الناس وكياستهم وتجملهم وصرامة نظامهم الاجتماعي ولم نجد فيه موقع للشتائم والسباب والكلام المشين المجرح كما هو الحال في أيامنا الحاضرة. وهكذا لعب دورا كبيرا في الصحافة العراقية،حتى أشار إليه الشاعر جميل صديقي الزهاوي محييا جريدة حبزبوز:

الهزل في الكلام كالملح في الطعام
قليل كثير ومره نمير
رب عتاب حمد ورب هزل جد
طرائف الهزال كالدور الغوالي

امتلك حبزبوز روحا فكاهية وكانت مقلاقته الساخرة تقرأ بلهفة ، بما أحتواه من حكاوي وأحاجي وسرد لأمثال ومصدرها و"رباط" مقصدها ، وكان متأثرا بالكتاب الاتراك الساخرين واضحا جدا بالرغم من إنحسار النشر في العراق حينئذ. فقد ولد حبزبوز عام ١٨٩٧ في مدينة السليمانية ، حيث كان والده ضابطا في الجيش العثماني ،ثم دخل الى المدرسة الاعدادية في بغداد ثم ذهب الى الأستانة ودخل الى المدرسة العسكرية وتخرج برتبة ملازم ، وأثناء الحرب العظمي اصيب وعاد إلى العراق فعين معاونا لمدير المدرسة الجعفرية وبعدها الى وزارة المعارف..مارس حبزبوز النقد اللاذع بأسلوب طريف وساخر ، وقد طرد من وظيفته ولجأ الى اصدار جريدته التي عرف باسمه المستعار "حبزبوز" والتي ما يزال صداها الى وقتنا الحاضر عالقة في الذاكرة العراقية.و بقيت الجريدة مستمرة الصدور لمدة ثماني سنوات حتى وافاه الاجل عام ١٩٣٨ ، وقد وصف رفائيل بطي الصحفي المخضرم اسلوب حبزبوز "أسلوبه محبب الى الناس ، تمازجه تعابير دارجة عند الدهماء ، مطعمة بالامثال السائرة على ألسنة الناس على اختلاف طبقاتهم وتحليها حكايات ونوادر مما يتناقله الجمهور من عهد العثمانيين ، ويختزن الكاتب من ذاكرته منها محصولاً وافراً". في العدد الصادر في اليوم الثالث من كانون الثاني عام١٩٣١ صورة كاركاتورية لبعض النواب وهم يدخلون من باب كتب عليها "مجلس الامة " وعلق حبزبوز عليها قائلاً :

يا فتاح يارزاق رب يسر ولاتعسر . أهلا وسهلاً بالنواب .يابه أغواتنا ..جيتم ، دقعدم انتخاب رئيس :٥٥ جعفر العسكري ، ٢١ جميل المدفعي ، ورقة بيضاء ... الخ

هذا كله مما لايهمني، وانما الذي يهمني أن تفتحوا عيونكم في كل جلسة ولاترفعوا الاصابع الا بعد وخزة الضمير ..هذا ودمتم لخادمك أفندم. وكم تذكرنا تلك الأوصاف بما نحن به اليوم، ولكن من يجرء لدينا وبعد ثلاثة أرباع القرن أن ينتقد عندنا حالة فلتان أو برلمان أو سلطان.

> وقد طرد من وظيفته ولجأ الى اصدار جريدته التي عرف باسمه المستعار "حبزبوز" والتي ما يزال صداها الى وقتنا الحاضر عالقة في الذاكرة العراقية.و بقيت الجريدة مستمرة الصدور لمدة ثماني سنوات حتى وافاه الاجل عام ١٩٣٨ ،